

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية

لفضيلة الشيخ: عبدالباري الثبيتي

بتاريخ: ٢٩ - ٩ - ١٤٢٢هـ

وهي بعنوان: وانقضى شهر رمضان

الحمد لله الذي وفق لبلوغ شهر رمضان، وهياً أسباب المغفرة والرضوان، أحمده سبحانه وأشكره على نعمة الهداية والإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة انخرها ليوم الجزاء والإحسان، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بين طريق الهدى والرشاد، وحذر من الضلال والعصيان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام، وسلم تسليمًا كثيرًا،
أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله، سعادة غامرة تملأ جوانحنا إذ بلغنا هذا الشهر العظيم، فالقلوب يتجاذبها خوفٌ ورجاءٌ، والألسن تلهج بالدعاء أن يتقبل الله الصيام والقيام لنا ولكم ولجميع المسلمين، أن يتقبل الله منا ما مضى، وبيارك لنا فيما بقي، فطوبى لمن اغتفرت زلته، وتقبلت توبته، وأقيلت عثرته. في نهاية الشهر العظيم نشكره سبحانه شكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام والقيام، وإعانتهم عليه، ومعونته لهم، وعتقهم من النار، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هكذا مضت الليالي مسرعة، بالأمس كنا نستقبل رمضان، واليوم نودعه، ولا ندري هل نستقبله عاماً آخر أم أن الموت أسبق إلينا منه، نسأل الله أن يعيده علينا وعليكم أعواماً عديدة وأزمنة مديدة. الاستغفار - عباد الله - ختام الأعمال الصالحة، تختتم به الصلاة والحج وقيام الليل والمجالس، وكذلك ينبغي أن يُختتم به الصيام، لنقوم به غمرات الغفلة والنسيان، ونمحو به شوائب التقصير والانحراف، فالاستغفار يدفع عن النفس الشعور بالكبر والزهو بالنفس والعجب بالأعمال، ويورثها الشعور بالتقصير، وهذا الإحساس يدفع لمزيد عملٍ بعد رمضان، فتزداد الحسنات ويثقل الميزان، يبين ابن القيم رحمه الله حاجة الطائعين إلى الاستغفار فيقول: "الرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماتها، وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفاراً عقب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لو لا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده" انتهى كلامه.

إذا كنا نودّع رمضان فإن المؤمن لن يودّع الطاعة والعبادة، بل سيوثق العهد مع ربه، ويقوي الصلة مع خالقه ليبقى نبع الخير متدفقاً، أما أولئك الذين ينقضون عهد الله، ويهجرون المساجد مع مدفع العيد، فبنس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان، قد ارتدوا على أدبارهم، ونكصوا على أعقابهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

لا قيمة لطاعة تُؤدّي دون أن يكون لها أثر من تقوى أو خشية، أين أثر رمضان بعد انقضائه إذا هُجر القرآن، وتُركت الصلاة مع الجماعة، وانتُهكت المحرمات؟! أين أثر الطاعة إذا أكل الربا، وأخذ أموال الناس بالباطل؟! أين أثر الصيام إذا أُعرض عن سنة رسول الله ﷺ إلى العادات والتقاليد، وحكمت القوانين الوضعية؟! أين أثر الصيام والقيام إذا تحايل المسلم في بيعه وشرائه، وكذب في ليله ونهاره؟! أين أثر رمضان إذا لم يقم دعوة إلى ضال، ولقمة إلى جائع، وكسوة إلى عارٍ، مع دعاء صادق بقلب خاشع أن ينصر الله الإسلام والمسلمين، ويدمر أعداء الدين!؟

حريّ بنا -أيها الصائمون- أن نتأمل كلام ابن القيم رحمه الله إذ يقول: "فبين العمل والقلب مسافة، وفي تلك المسافة قُطَاعٌ تمنع وصول العمل إلى القلب، فيكون الرجل كثير العمل، وما وصل منه إلى قلبه محبة ولا خوف ولا رجاء ولا زهد في الدنيا ولا رغبة في الآخرة، ولا نور يفرّق به بين أولياء الله وأعدائه، فلو وصل أثر الأعمال إلى قلبه لاستنار وأشرق ورأى الحق والباطل" انتهى كلامه رحمه الله.

يا أهل الطاعة، الله لا يريد من سائر عبادتنا الحركات والجهد والمشقة، بل طلب سبحانه ما وراء ذلك من التقوى والخشية له، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ ءَلَّةَ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِن يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٧].

من الأعمال الصالحة بعد رمضان صيام ست من شوال، قال ﷺ: ((من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر)) [أخرجه مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه].

لقد غرس رمضان في نفوسنا خيراً عظيماً، صقل القلوب، أيقظ الضمائر، طهر النفوس، ومن استفاد من رمضان فإن حاله بعد رمضان خير له من حاله قبله، ومن علامات قبول الحسنة الحسنة بعدها، ومن علامات بطلان العمل وردّه العودة إلى المعاصي بعد الطاعات، فاجعل -أخي الصائم- من نسمات رمضان المشرقة مفتاح خير سائر العام، ومنهج حياة في كل الأحوال، احرص على بر الوالدين، وصلة الجيران، وزيارة الإخوان، انصر المظلومين، وتلذذ بمسح رأس اليتيم، أصلح ذات البين، وأطعم المحرومين، واجبر نفوس المنكسرين، ساهم في زرع السعادة على شفاه المصابين والمبتلين، صل رحمك، احفظ عرض إخوانك، كن نبعاً متدفقاً بالخير كما كنت في رمضان.

لقد تعلمنا في مدرسة رمضان أنجع الدروس وأبلغ المواعظ، تعلمنا كيف نقاوم نزغات الشيطان، تعلمنا كيف نقاوم هوى النفس الأمارة بالسوء، تعلمنا كيف ننذب الخلاف وأسباب الفرقة. لقد تراصت الصفوف في رمضان كالجسد الواحد، فينبغي أن لا تتناثر بعد رمضان، لقد سكبت العيون الدموع في رمضان، فاحذر أن يصيبها القحط والجفاف بعد رمضان، لقد اهتزت جنبات المساجد، ولهجت الألسن بالتهليل

والتحميد والدعاء، فليدوم هذا الجلال والجمال بعد رمضان، لقد علا محياك في رمضان سمت الصالحين، ذلٌ وخضوع، إخباتٌ وسكينة، وقارٌ وخشية، فلا تمحه بعد رمضان بأخلاق الزهو والكبر والبطر والسفه، لقد امتدت يدك في رمضان بالعطاء، وأنفقت بسخاء، فلا تقبضها بعد رمضان.

عباد الله، للصائم فرحةٌ عند فطره، وفرحةٌ عند لقاء ربه، فرحةٌ في الدنيا العاجلة، وفرحةٌ في الآخرة الباقية، لمن داوم على العبادة والطاعة، حيث ينال المتعة الكبرى والنعمة العظمى، ألا وهي الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكأني بأقوام من بيننا سينادون: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وينادون: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]، جعلني الله وإياكم من أهلها.

هؤلاء رفع لهم علم الجنة فشمروا إليه، ووضّح لهم طريقها فاستقاموا عليه، علموا أن الربح كل الربح إذا حشروا إلى الرحمن وفداً، فوقفوا للحظات والسكنات ووجيف القلوب والأنفاس على الجنة أن يدخلوها، فنالوها ﴿جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

إنها جنات إقامة دائمة، لا كجنات الدنيا، وقد وعد الله بها المتقين، ووعد الله لا يخلف، فهم آتوها لا محالة. هي الجنة التي إذا غمس فيها العبد غمسة واحدة زال بؤسه، ونسي همّه وغمّه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، وفيه: ((ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟! هل مر بك شدة قط؟! فيقول: لا والله، يا رب ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)).

جعلها الله مقراً لأحبابه، وملاًها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وأودعها الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، إن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجواهر والمرجان، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيهم فهي آنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشهم فبطائنهما من إستبرق في أعلى الرتب، وإن سألت عن أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر ليلة البدر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين، على صورة آدم عليه السلام أبي البشر. اللهم اجعلنا من أهلها يا أرحم الراحمين.

أيها الصائمون، هاهي الأمة تودّع رمضان، لكنها لم تودّع مآسيها الدامية وآلامها المبرحة، وهي تمر اليوم بمحن عظيمة، وجراح عميقة، ترى جراحها في القدس، وفي مواقع أخرى ملتهبة، حربٌ شرسةٌ لتتحية الإسلام، وتجفيف منابعه من أعداء الإسلام، متجاوزين كل الحدود والأعراف. لقد امتحنت الأمة بصنوف المكر وأثقال المصاعب، وكان بعض ذلك كافياً للقضاء على غيرها من الأمم إلا أن

قوة العقيدة والإيمان ينابيع عذبة تتجدد رغم المصاعب، وأن الغد المأمول لهذه الرسالة، والواجب على المسلمين نصرة قضايا أمتهم، والتحلي بالصبر وضبط النفس، والإخلاص في الدعاء، والاستعانة بالله أمام العواصف العاتية حتى تنتشع الغمة وينكشف الكرب، **﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾** [فاطر: ١٧].
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أودع شهر رمضان مزيد فضل وأجر، أحمدته سبحانه وأشكره على التوفيق للصيام والقيام وليلة القدر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كلما أضاء قمر وانشق فجر،
أما بعد:

فانقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

تحتفل الأمة قريباً بنعمة إتمام شهر رمضان، فتفرح بالعيد.

وهناك أمور يُستحب فعلها أو قولها في ليلة العيد ويومه، يشرع التكبير من غروب شمس ليلة العيد إلى صلاة العيد، قال تعالى: **﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [البقرة: ١٨٥]، كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد).

يُسنّ جهر الرجال في المساجد والأسواق والبيوت إعلاناً بتعظيم الله، وإظهاراً لعبادته وشكره.

أخي المسلم، شرع لك مولاك عز وجل زكاة الفطر وهي طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، وتكون صاعاً من شعير أو تمر أو زبيب أو أرز أو نحوه من الطعام، عن الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد من المسلمين، وأفضل وقت لإخراجها قبل صلاة العيد، ويجوز قبل يوم العيد بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد بغير عذر.

ويستحب الاغتسال والتطيب للرجال قبل الخروج للصلاة، صح عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: (سنة العيد ثلاث: المشي والاعتسال والأكل قبل الخروج). وكذا التجميل بأحسن الملابس، وكان للنبي ﷺ جبة يلبسها في العيد وفي يوم الجمعة، وصح أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يلبس للعيد أجمل ثيابه.

أما النساء فيبتعدن عن الزينة إذا خرجن، لأنهن منهيات عن إظهار الزينة للرجال الأجانب، وكذا يحرم على من أرادت الخروج أن تمسّ الطيب أو تتعرض للرجال بالفتنة، فإنها ما خرجت إلا لعبادة وطاعة، فكيف تعصي الله بالتبرج والسفور والتطيب أمام الرجال!؟

وأكل تمرات وتراً قبل الذهاب إلى المصلى، لما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، وفي لفظ: وتراً.

النساء يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحِيض، ولكن الحِيض يعتزلن المصلى، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين.

وتستحب التهئة بالعيد لثبوت ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم كقوله: تقبل الله منا ومنكم، وما أشبه ذلك من عبارات التهئة المباحة.

إن العيد لمن صام وقام لله، إن العيد لقلوب شعَّ فيها نور الإيمان، وتظهرت من المعاصي والآثام. عيد المسلمين -إخوة الإسلام- مناسبة لنبذ الشحناء والبغضاء، والانتصار على المشاعر والأحاسيس التي ينزغ بها الشيطان، فهلا جعلنا العيد منعطفاً حقيقياً في علاقتنا مع أقاربنا وجيراننا وإخواننا؟! هلا تجاوزنا المظاهر والطقوس ليكون عيداً وفرحة بقلوب صادقة ونفوس طاهرة؟! قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [النساء: ٣٦].

ألا وصلوا -عباد الله- على رسول الهدى، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن آل والصحب الكرام، وعننا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك، يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ودمر اللهم أعداءك أعداء الدين، واجعل اللهم هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين. اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، ونسألك الدرجات العلا من الجنة يا رب العالمين. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عنا، اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عنا، اللهم اجعلنا ممن صام رمضان إيماناً واحتساباً، واجعلنا ممن قام رمضان إيماناً واحتساباً، واجعلنا ممن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، اللهم اجعلنا ممن وفق لقيام ليلة القدر يا رب العالمين. اللهم اختم لنا بخير واجعل عواقب أمورنا إلى خير، اللهم اعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، يا رب العالمين. اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بسوء ما عندنا يا أرحم الراحمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إنا نسألك نعيماً لا ينفد، وقررة عين لا تنقطع، ونسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضره ولا فتنة مضلة.

اللهم اغفر لنا ولجميع المسلمين يا رب العالمين، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك

بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، يا أرحم الراحمين.
اللهم انصر من نصر الدين واخذل اللهم من خذل الإسلام والمسلمين. اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك
وعبادك المؤمنين، اللهم انصر المجاهدين لإعلاء كلمتك في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين لإعلاء
كلمتك في كل مكان، اللهم ثبت أقدامهم ووحد صفوفهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.
اللهم من أردنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل تدبيره تدميره، يا سميع الدعاء.
اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزم أعداءك أعداء الدين وانصرنا عليهم، يا رب
العالمين.

اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم سقيا رحمة لا سيقا عذاب
ولا بلاء ولا هدم ولا غرق.

اللهم وفق إمامنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى، اللهم وفقه لهداك واجعل عمله في رضاك
يا رب العالمين، اللهم ارزقه البطانة التي تدله على الخير وتعينه عليه. اللهم وفق جميع ولادة أمور
المسلمين للعمل بكتابك وتحكيم شرعك، يا رب العالمين.
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم أعد علينا رمضان أعواماً عديدة وأزمنة مديدة، ونحن والمسلمين في صحة وعافية وإيمان وحياة
سعيدة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله
أكبر والله يعلم ما تصنعون.